

## البيئة الطبيعية وأثرها على حياة الإنسان من منظور ابن خلدون

The natural environment and its impact on human life from Ibn Khaldun's perspective

\* حملاوي مهتوري

جامعة 20 أكتوبر 1955 - سكيكدة، h.mehtour@univ-skikda.dz

تاريخ النشر: 2025/03/04 تاريخ القبول: 2024/12/10 تاريخ الاستلام: 2024/10/23

### ملخص:

يعتبر مفهوم البيئة من أهم المفاهيم، وأشملها، وأوثقها صلة بحياة الإنسان، الفكرية والاجتماعية، والثقافية، والطبيعية. ويكتسي الحديث عن البيئة الطبيعية وعلاقتها بحياة الإنسان أهمية بالغة بالنسبة لهذا الأخير؛ ذلك أن البيئة تؤثر ومن دون شك بمكوناتها وعنصرها وظروفها في رسم وتشكيل ملامح حياة الإنسان، وهذا ما تنبأ إليه الفلاسفة والمفكرون والعلماء على مر العصور وضمن هذا السياق تأتي مداخلتنا هذه، والتي تسعى من خلالها إلى الكشف عن مدى تأثير البيئة الطبيعية على حياة الإنسان من منظور العالمة العربي عبد الرحمن بن خلدون؛ صاحب الفكر الموسوعي، وهذا ما يكشف عنه مؤلفه الشهير المعروف بـ «مقدمة ابن خلدون».

وبنوية تحليلية متأنية ننتهي إلى نتيجة مفادها: أن الإنسان عند ابن خلدون هو ابن بيته؛ فالطبيعة تحكم في تحديد خصائص الإنسان الفيزيولوجية، وقدراته الفكرية، وصفاته الأخلاقية.

كلمات مفتاحية: البيئة الطبيعية؛ ابن خلدون؛ الإنسان؛ الفكرية؛ الأخلاقية.

### Abstract:

The concept of the environment is one of the most important, comprehensive, and closely connected to human life—intellectually, socially, culturally, and naturally. Discussing the natural environment and its relationship to human life is crucial, as the environment, with its components and conditions, undeniably shapes human life. This has been acknowledged by philosophers, thinkers, and scientists throughout history. In this context, our study aims to explore the impact of the natural environment on human life from the perspective of the Arab scholar Ibn Khaldun, as presented in his famous work *Muqaddimah*.

Through careful analysis, we conclude that, for Ibn Khaldun, humans are products of their environment; nature governs their physiological traits, intellectual abilities, and moral qualities.

**Keywords:** Natural environment; Ibn Khaldun; human; intellectual; moral.

\* المؤلف المرسل: د/مهتوري حملاوي

الإنسان كائن أرضي يعيش في بيئته طبيعية يتاثر بها ويؤثر فيها، ومنذ أن وطئت قدماء على سطح هذه الأرض، وهو يحاول فهم ما يحيط به من ظواهر طبيعية؛ في محاولة منه للتأقلم والتكيف معها بشكل جيد، وقد جلب موضوع البيئة الطبيعية، وأثارها على حياة الإنسان انتباه واهتمام الفلاسفة والمفكرين والعلماء على مر العصور.

يعتبر ابن خلدون أحد أبرز العلماء والمفكرين؛ الذين اهتموا بموضوع البيئة الطبيعية، حيث تطرق إلى هذا الموضوع في كتابه الشهير المعروف بالمقدمة، والذي يعتبر كتاباً موسوعياً بامتياز؛ لامس ابن خلدون من خلاله مواضيع كثيرة، ومنها الفلسفة، وعلم الكلام، والفقه، والتصوف، والتربية والتعليم والبيئة الطبيعية وتأثيرها على الإنسان، وفي إطار البحث عن تأثير البيئة الطبيعية على حياة الإنسان يندرج بحثنا هذا، والذي نسعى من خلاله إلى ضبط مفهوم البيئة الطبيعية، وبيان وجه الأثر الذي تركه على حياة الإنسان من منظور ابن خلدون، وهذا عبر إثاراتنا لجملة من الأسئلة الهامة، وعلى رأسها: ما هي نظرية ابن خلدون للبيئة وأقاليم الأرض؟ وما علاقة البيئة الطبيعية بالجوانب الفيزيولوجية والفكرية الأخلاقية لدى الإنسان في نظر ابن خلدون؟ وما حدود المقولية في وجهة نظر ابن خلدون حول تأثير البيئة على حياة الإنسان؟، وهي الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها معتمدين في ذلك على المنهج التحليلي، وبالاحتكام إلى خطة تستجيب لمساعانا المنهجي، وهي الخطة التي اشتغلت على مقدمة، وأربعة عناصر، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

#### 1. مفهوم البيئة الطبيعية

##### 1.1 التعريف اللغوي:

وفي محاولتنا للتعرف على معنى البيئة نجد أنفسنا مضطرين للعود إلى اللغة، وتكشف لنا هذه الأخيرة بأن البيئة تعني المنزل والحال، ويقال بيئه طبيعية، وبيئة اجتماعية، وبيئة سياسية...<sup>1</sup>  
 والبيئة مشتقة من بـو، ويقال بـوأت منزلـاً بمعنى نـزلـته وهـيـاته، وبـوـاهـ منزلـاـ وـفيـهـ أـنـزلـهـ، والإـسمـ  
 البيـئةـ،ـ وهيـ الحـالـةـ وـالـمـكـانـ<sup>1</sup>ـ،ـ أـمـاـ الطـبـيـعـةـ فـتـشـيرـ إـلـىـ عـالـمـ الـكـائـنـاتـ بـمـاـ فـيـهـ مـنـ مـخـلـوقـاتـ وـجـبـالـ وـأـوـدـيـةـ  
 وـنبـاتـاتـ،ـ وـالـطـبـائـعـ الأـرـبـعـ:ـ الـحرـارـةـ وـالـبـرـودـةـ وـالـرـطـوبـةـ وـالـبـيـوـسـةـ<sup>2</sup>ـ.  
 ومن هنا يمكننا القول أن المعنى اللغوي للبيئة الطبيعية: لا يخرج عن المكان والوسط الطبيعي وما يتميز به من تضاريس ومناخ.

<sup>1</sup>- الفيروز آبادي مـجـدـ الدـينـ،ـ (2005)،ـ القـامـوسـ الـمـحيـطـ،ـ طـ8ـ،ـ مؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ،ـ بـيـرـوتـ،ـ لـبـانـ،ـ صـ34ـ.

<sup>2</sup>- تعريف ومعنى طبيعة في قاموس الكل. قاموس عربي عربي، طبيعة/  
<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>.  
 تم الإطلاع على: 2025/1/1.

## 2.1 المفهوم الاصطلاحي:

تطلق البيئة في الاصطلاح على مجموع الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد والمؤثرة فيه. تقول البيئة الطبيعية أو الخارجية، والبيئة العضوية أو الداخلية والبيئة الاجتماعية والبيئة الفكرية. وهناك كما يقول كلود برنار بيئتان تؤثران في الكائن الحي الأولى هي البيئة الكونية أو الخارجية، والثانية هي البيئة العضوية أو الداخلية. وتطلق البيئة بهذا المعنى على الزمان والمكان من جهة ما هما إطاران محاطان بالظواهر الطبيعية. والبيئة مرادفة للوسط، يقال فلان في وسط القوم أي بينهم.<sup>3</sup>

والبيئة بمعناها الواسع، تعني الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، ومنها البيئة الطبيعية، والتي تعني الوسط أو المجال الذي يعيش فيه الإنسان فيتأثر به ويؤثر فيه، وهي تشتمل على (التربة، والماء، والهواء، والنبات، والكائنات الحية التي تسكن الأرض)، كما نجد من أنواع البيئة الأخرى البيئة الصحية، والبيئة الثقافية، والبيئة الاجتماعية، وغير ذلك من أنواع البيئة التي يحيا فيها الإنسان ويمارس فيها نشاطه، والمؤكد أن الإنسان يتاثر بالبيئة الطبيعية التي يعيش فيها، وهذا ما تنبه له الفلاسفة والمفكرون والعلماء على مر العصور.

## 2. البيئة الطبيعية وأقاليم الأرض عند ابن خلدون<sup>4</sup>

### 2.1 البيئة الطبيعية وأقاليم الأرض عند العرب:

عندما نتبع تاريخ التأليف الجغرافي في اللغة العربية في أدواره الأولى؛ سنجد بأن مجموعة الجغرافيين الذين كتبوا في القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد)؛ كانوا متأثرين إلى درجة كبيرة بالمعرفة اليونانية الرومانية، ونتائجها المتعلقة بالبحث في الكره الأرضية وتقسيماتها إلى أقاليم، ويمكن تسمية هذه المجموعة من النتاج الجغرافي بالجغرافيا اليونانية مترجمة أو معربة. ويمثل هذه المدرسة ابن خرداذبة صاحب كتاب "المسالك والممالك"، واليعقوبي مؤلف "كتاب البلدان"، وابن رستة واصع "الألاقى النفيسة"، والخوارزمي صاحب كتاب "صورة الأرض"، وابن الفقيه صاحب كتاب "البلدان" والكتبي بكتابه "رسم المعمور من الأرض" وقد امامة بن جعفر الذي ترك لنا كتاب "الخارج"، وقد أخذ هؤلاء المعرفة الجغرافية إما عن اليونان رأساً أو عن الترجمات أو الخلاصات السريانية والأرمنية والمقصود بالمعرفة الجغرافية اليونانية هي المعرفة المأخوذة عن بطليموس وأرائه الجغرافية، المعروفة أن الجغرافيين العرب

<sup>3</sup>- صليبا جميل (1982)، المعجم الفلسفى، ج 1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ص 220، 221.

<sup>4</sup>- ابن خلدون (732-1332هـ/1406-1308م)؛ ولـ الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ولد بتونس وتوفي بالقاهرة، وتقلب في مناصب عدة، وارتحل كثيراً، دون أفكـاره في سبع مجلـدات كتبـها في نحو ثلـاث سـنوات عن تـاريخ العـرب والـبرير، بـعنوان "كتـاب العـبر" اشتـهـر منها الجـلد الأول المعـروف باـسـم المـقدـمة، أو مـقدـمة ابن خـلدون. - عبد المنـعم الحـقـنى، (2010) موسـوعـة الفـلـسـفة والـفـلـاسـفة، طـ3، جـ1، مـكتـبة مدـبـولي، القـاهـرة، صـ45، 46.

لم يتركوا لنا ترجمة كاملة لجغرافية بطليموس، ولكن الخوارزمي الفلكي خلف لنا خلاصة له عملها سنة 830<sup>5</sup>.

ويتضح أثر بطليموس في جغرافيي هذه المدرسة في أمرين اثنين بشكل خاص؛ أما الأول فأخذ الأطوال والعرض والموضع عنه. وأما الأمر الثاني فهو أن هراء الجغرافيين قبلوا بتقسيم العالم إلى سبعة أقسام على ما قسمه بطليموس، وكتاب الكندي المعنى "رسم المعمور من الأرض" هو في الواقع اقتباس لبطليموس<sup>6</sup>.

ويمكن القول عموماً بأن العرب قد كان لهم الفضل في إحياء الجغرافيا، إبان عصور الظلام الأوروبية، حيث ساهموا في حفظ التراث الجغرافي الإغريقي في العصور الوسطى؛ التي تدهورت فيها حضارة أوروبا حتى أخذها عنهم الأوروبيون بعد عصور الأضمحلال. وقد شهدت المعرفة الجغرافية عند العرب تطوراً كبيراً، وقد تمكنا من اكتشاف مناطق جديدة من العالم لم تكن معروفة من قبل، وقد عرف العرب نوعين من الجغرافيا وهما: الجغرافيا الوصفية والجغرافيا الرياضية. وكانوا بارعين في علوم الفلك والرياضية والهندسة، وكانت لهم إسهامات كبيرة في الملاحة في المحيطين الأطلسي والهندي وتمكنوا من القيام بكشوف عديدة<sup>7</sup>.

في القرن الرابع للهجرة (القرن العاشر الميلادي)؛ ظهر عدد من الجغرافيين الذين أغنوا المكتبة الجغرافية العربية، وظهر استقلالهم عن بطليموس واضحًا، وأبرزهم البلخي والإصطخري وابن حوقل والمقدسي<sup>8</sup>.

إذا كان جغرافييو الإغريق والرومان لم يتطرقوا إلى الجغرافيا البشرية؛ إلا من خلال لمحات كتوزيع الإنسان على سطح الأرض المعمورة في ذلك الوقت، وأثر البيئة الطبيعية وخاصة المناخ على الإنسان وانتشاره وصفاته ولغاته وحرقه؛ فإن العرب قد كتبوا في بعض حقول الجغرافيا البشرية كالجغرافيا الاقتصادية والتاريخية والأنثروبولوجية، واهتموا بوصف النواحي المختلفة للحياة البشرية وصالوا وجالوا في مواضيع عديدة؛ كالعادات والتقاليد والحرف والأديان والطبقات الاجتماعية والمأكولات والملابس، وعلاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية، وكتبوا في جغرافية المدن، وخاصة مكة والمدينة وبيت المقدس<sup>9</sup>.

<sup>5</sup>- زيادة نقولا، (1987)، المغرايفية والرحلات عند العرب. دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، لبنان، ص 17، 18.

<sup>6</sup>- المرجع نفسه، ص 18.

<sup>7</sup>- عطوي عبد الله. (1996). المغرايفية البشرية، ط 1. دار النهضة العربية، بيروت، ص 17.

<sup>8</sup>- زيادة نقولا، المرجع السابق، ص 31.

<sup>9</sup>- عطوي عبد الله. المغرايفية البشرية، مرجع سابق، ص 18.

ويعتبر ابن خلدون أحد أبرز المفكرين الذين تطرقوا في كتاباتهم إلى الجغرافيا وهو يشير في معظم كتاباته إلى أثر المناخ في الإنسان وانتشاره وحضارته. ويهمنا أن نشير هنا إلى وجهة نظر ابن خلدون حول الجغرافيا البشرية.

## 2.2 البيئة الطبيعية وأقاليم الأرض عند ابن خلدون:

لقد تم تقسيم الأرض تبعاً للمنظور الجغرافي القديم؛ ذاك الذي نجده عند بطليموس اليوناني إلى سبعة أقاليم غير متساوية في العرض مختلفة في الطول، وضمن هذا المنظور تدرج رؤية ابن خلدون لأقاليم الأرض، حيث يشير هذا الأخير إلى أن المنكشf من الأرض للعمaran فيه القفار والخلاف أكثر من عمرانه، والخالي من جهة الجنوب منه أكثر من جهة الشمال، وإنما المعuور منه قطعةAMIL إلى جانب الشمالي على شكل مسطح كروي ينتهي من جهة الجنوب إلى خط الاستواء، ومن جهة الشمال إلى خط كروي، ووراء الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينهما سد يأجوج ومأجوج، وهذه الجبال مائلة إلى جهة الشرق، وينتهي من المشرق والمغرب إلى عنصر الماء أيضاً بقطعتين من الدائرة المحيطة. وهذا المنكشf من الأرض قالوا هو مقدار النصف من الكرة أو أقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المقسم بالأقاليم السبعة<sup>10</sup>.

وكل واحد من هذه الأقاليمأخذ من الغرب إلى الشرق على طوله، فال الأول منها مار من المغرب إلى المشرق مع خط الاستواء بحده من جهة الجنوب، وليس وراءه هنالك إلا القفار والرماد وبعض عمارة ويبتدئ هذا الإقليم من الصين، ويمر بالهند والسندي والجزيرة العربية وببلاد اليمن من جهة البحر وببلاد الحبشة، ونيل مصر وأرض النوبة، وأرض المغرب على جنوب بلاد البربر إلى المحيط الأطلسي، وفي هذا الإقليم ثلاثون نهرًا وخمسون مدينة كبيرة، وعامة أهلle سود الألوان<sup>11</sup>.

ويتميز هذا الإقليم بأنه مفرط في الحرارة كثير المياه وزرع أهله الذرة والأرز، واعتدال المناخ عندهم معدوم، بسبب أن الشمس تسamt<sup>12</sup> من رؤوسهم مرتين في السنة، قريبة إحداها من الأخرى، فتطول المسامحة عامة الفصول لسنتها في كثير الضوء لأجلها ويلح القيظ الشديد عليهم وتسود جلودهم لإفراط الحر. فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة، والبقر عندهم كثير لكثرة المروج. كما أن لهذا الإقليم من البروج الحمل والقوس، وله من الكواكب السيارة المشتري. ومن هذا الإقليم يأتي نهر النيل.

ويفصل ابن خلدون القول في هذا الإقليم من خلال تعداده لأسماء المدن والقرى والأنهار والبحار والمفاوز، وأسماء القبائل والدول والإمارات التي قامت فيه، فضلاً عن أسماء الكتب المقدسة لديهم. وغير

<sup>10</sup>- ابن خلدون عبد الرحمن، (1981). مقدمة ابن خلدون، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، ص44،

<sup>11</sup>- المصدر نفسه، ص 53.

<sup>12</sup>- *الستمت في علم الفلك الفضة التي تقع فوق رأس المشاهد عمودياً*.

- *الستمت في علم الفلك الفضة التي تقع فوق رأس المشاهد عمودياً*.

- *الستمت في علم الفلك الفضة التي تقع فوق رأس المشاهد عمودياً*.

ذلك. وأهل هذا الإقليم يسكنون الكهوف والغياض، ويأكلون العشب وهم متتوحشون غير مستأنسين، يأكل بعضهم بعضاً، والسبب يعود بحسب رأي ابن خلدون، لبعدهم عن الاعتدال في المناخ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل أن أحوالهم في الديانة كذلك، فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشرعية إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال، وهو في الأقل النادر، مثل الحبشة المجاورة لليمن الدائنة بدين النصارى فيما قبل الإسلام وما بعده لهذا العهد، وإن قيل بشأن الجزيرة العربية واليمن والأحقاف وحضرموت من أنها تقع ضمن حدود هذا الإقليم والإقليم الثاني، فالجواب كما يقول ابن خلدون هو أن جزيرة العرب كلها أحاطت بها البحار من الجهات الثلاث، فكان لرطوبتها أثر في رطوبة هواها فنقص من ذلك اليبس والانحراف الذي تقتضيه طبيعة الحر، وصار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر<sup>13</sup>.

أما الإقليم الثاني فهو يقع شمال الإقليم الأول، ويكون النهار الأطول فيه ثلاثة عشرة ساعة ونصف، وحدوده من بلاد الصين ماراً ببلاد الهند والسندي فالبحر الأخضر (بحر العرب)، وبحر البصرة (الخليج العربي)، ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وتهامة واليمامة والبحرين ومكة والمدينة والطائف وارض الحجاز وصعيد مصر الأعلى وأسوان وأرض المغرب على وسط إفريقية (تونس) وببلاد البرير إلى البحر في المغرب. وفي هذا الإقليم سبعة عشر جيلاً وبسبعة عشر نهراً وأربعين إلة وخمسون مدينة<sup>14</sup>.

وتتصف ألوان أهل هذا الإقليم ما بين السمرة والسوداء، وله من البروج الجدي، ومن الكواكب السيارة زحل، وسكانه من البدو الرحالة، ففي المغرب منهم حدائه وصنهاجة ولتونه ورحالة مصر من ألواح ورحالة السماوة من أهل العراق ورحالة الترك، وبما أن معظم سكان هذا الإقليم من الرحالة فإن الشيم والأخلاق التي يعكسها طبيعة المناخ وطول النهار وقربهم من الإقليم الأول، فأهلهم متأثرون بلا شك بطبيائع أولئك، فضلاً عن طبيعة البداوة من خشونة الطبع الذي تركه شظف العيش، وقسوة المناخ وقلة الموارد الطبيعية، مما أبعدهم عن الترف الذي تطبعه المدينة والحضارة بطبعها، وألبسهم لباس الشجاعة والقسوة وحب ركوب الخيل والغزو المستمر للحصول على الموارد الغذائية من أهل المدن والحواضر.

ويأتي الإقليم الثالث محاذياً للإقليم الثاني، فهو يقع شماله، وجنوب الإقليم الرابع، ويكون النهار الأطول فيه أربع عشرة ساعة، وحدوده تبتدىء من شمال الصين مروراً ببلاد الهند والسندي وأفغانستان وكerman وسجستان، وسابور وشيراز والعراق من حدود البصرة، والأهواز وواسط وبغداد والكوفة والأنبار وهيت، ثم يمر ببلاد الشام وصور وعكا ودمشق وطبرية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين ويقطع أسفل أرض مصر وفيه الفيوم والإسكندرية ودمياط وتمر بلاد برقة وأفريقيا فيدخل القيروان وينتهي

<sup>13</sup>- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص.83.

<sup>14</sup>- المصدر نفسه، ص.57

غرباً إلى البحر المتوسط وغيرها من البلاد. وفيه ثلاثة وثلاثون جبلاً واثنان وعشرون نهراً منها دجلة والفرات في العراق، وألوان بشرة أهل السمرة، وله من البروج العقرب ومن السيارة الزهرة، وفي هذا الإقليم العمائر والمدن متواصلة من أوله إلى آخره<sup>15</sup>.

وبعد الإقليم الثالث يأتي الإقليم الرابع باتجاه الشمال، وهو أوسط الأقاليم السبعة ويكون النهار الأطول فيه أربعة عشر ساعة ونصف، وحدوده تبتدئ من خراسان وفرغانة وسمرقند وبخارى ومرو وطوس ونيسابور وجرجان وقومس طبرستان وقزوين وأصفهان والموصل ونواحهما من الجزيرة، وجملة العراق وبغداد والرقة في سوريا ودمشق وحلب وأنطاكية وطرابلس وحماد وطرطوس وعموريا والاذقية، ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرص ورسوس، ويمر ببلاد طنجة فينتهي في بحر المغرب. وفيه خمسة وعشرون جبلاً كبيراً ومثلها من الأنهار، وألوان بشرة مدينة، وألوان بشرة أهل ما بين السمرة والبياض. وله من البروج الجوزاء ومن الكواكب السيارة عطارد.

ويتميز الإقليم الرابع باعتدال مناخه، وطول نهاره وطول فصل الربيع والخريف فيه. لكونه يقع وسطاً بين الأقاليم، ولهذا فقد اعتبره الجغرافيين العرب من أعدل الأقاليم من حيث هوائه مما انعكس على طباع أهلها وأخلاقهم وشيمهم، فضلاً عن أن في هذا الإقليم تكثر الأنهار والزروع والعمائر فضلاً عن السكان. ولهذا نجد بأنه وفي الإقليم ظهرت الرسالات السماوية والأنباء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين، ومنه ظهرت أيضاً الفلسفة والحكمة وكثير فيه الفلاسفة والعلماء على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم<sup>16</sup>.

ويلي هذا الإقليم في الاعتدال الإقليم الخامس، ويكون متوسط نهاره خمس عشرة ساعة ويتبعه من المشرق من بلاد يأجوج ومأجوج، ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم وأذربيجان وسجستان ويمر على بلاد الروم إلى رومية وبلاط الأندلس، واليونان وقسطنطينية وبرسلونة وانكلترا وفرنسا حتى ينتهي إلى البحر في المغرب، وفيه من الجبال الطوال ثلاثون جبلاً ومن الأنهار الكبار خمسة عشر نهراً، ومن المدائن الكبار مائتا مدينة، وأكثر أهلها بيض الألوان، وله من البروج الدلو ومن الكواكب السيارة القمر.

ثم يلي هذا الإقليم من جهة الشمال الإقليم السادس، ومعه بدأنا نبتعد عن الاعتدال في المناخ ونقترب من الطرف المقابل للإقليمين الأول والثاني، في الإفراط بالبرودة التي يتمتع بها هذا الإقليم والإقليم الذي يليه، بخلاف الحرارة العالية التي يتمتع بها الإقليمين الأول والثاني. ويكون النهار الأطول فيه خمس عشرة ساعة ونصف الساعة، ويتبعه هذا الإقليم من المشرق ماراً ببلاد الترك إلى بلاد الخزر من شمال نجومهم وأرض برحان وقسطنطينية وشمال الأندلس إلى البحر المحيط الغربي (المحيط

<sup>15</sup>- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص.59.

<sup>16</sup>- المصدر نفسه، ص.65.

الأطلسي)، وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا والبلغار، وبلدان أخرى تقع في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية. وفي هذا الإقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلاً ومن الأنهار الطوال اثنان وثلاثون نهرأً ومن المدن الكبار تسعون مدينة، وأكثر ألوان بشرة سكانه ما بين الشقرة والبياض، وله من البروج السلطان، ومن السيارة المريخ.

أما الإقليم السابع وهو الأخير من أقاليم الأرض، والذي يكون النهار الأطول فيه ست عشرة ساعة، فهو يقع في الطرف البعيد من الإقليم الأول، وبهذا يكون فرق التوقيت ما بين الإقليم والأول والسابع حوالي ثلاثة ساعات ونصف، ويتبع هذا الإقليم من المشرق على بلاد ياجوج ومأجوج، ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان مما يلي الشمال، ويقطع بحر الروم (المتوسط) على بلاد جرجان والصقالبة إلى أن ينتهي إلى البحر المتوسط (الأطلسي) في المغرب وإنكلترا وأيسلاندا الدائمة الثلوج والمتصلة ببلاد روسيا وبلغاريا. وبهذا الإقليم عشرة جبال طوال وأربعون نهرأً طوالاً واثنتان وعشرون مدينة كبيرة، وألوان بشرة أهل الشقراء، وله من البروج الميزان ومن الكواكب السيارة الشمس.

وليس وراء الإقليم السابع إلا الخلاء والفار إلى أن ينتهي إلى البحر المتوسط كالحال فيما وراء الإقليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار، وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس الليل والنهار لذلك، وينتهي طول الليل والنهار في آخر الإقليم الأول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي الليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد منها إلى ثالث عشرة ساعة، وكذلك في آخر الإقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان، وهو منقلها الصيفي إلى ثالث عشرة ساعة ونصف ساعة، ومثله أطول الليل عند منقلها الشتوي برأس الجدي ويبقى للأقصر من الليل والنهار ؛ ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة أربع وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار، وهي دورة الفلك الكاملة.<sup>17</sup>.

### 3. أثر البيئة الطبيعية على حياة الإنسان عند ابن خلدون "الاحتمالية البيئية"

#### 1.3 نظرة على الاهتمام بتأثير البيئة الطبيعية على حياة الإنسان قبل ابن خلدون:

يعتبر موضوع تأثير البيئة الطبيعية على الإنسان من الموضوعات القديمة التي عالجها الفلاسفة والكتاب؛ كما عالجها المؤرخون والجغرافيون منذ القدم، والاحتمالية البيئية تعتبر الإنسان كائن سلبي خاضع للظروف البيئية المحيطة به، وحياته الجسمية والاجتماعية والحرفية انعكاس لتكيفه مع البيئة فهو منها وإليها<sup>18</sup>.

<sup>17</sup>- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص.52.

<sup>18</sup>- عطوي عبد الله. الجغرافية البشرية، مرجع سابق، ص.25.

والحق أن الإنسان لا يمكن دراسته دون الأرض التي يفلحها أو البحار التي يجوبها، لأن للبيئة الأثر الأعظم في تشكيل أعماله وغذائه وملبسه وأخلاقه ونظرته الدينية وأنظمته الاجتماعية. ولقد قام الصراع بين الإنسان وبئته منذ القدم، فهو دائم الجهاد للتغلب عليها واستغلالها لصالحته<sup>19</sup>.

ومن الجغرافيين الإغريق البارزين؛ هيروdotus الذي يرى أن السكان نتاج للمناخ، وهو يؤكد أن هنالك عوامل أخرى غير المناخ، وهي عوامل اجتماعية وحضارية. ومن الدلالات على اهتمام هيروdotus في إبراز أثر الظروف الطبيعية في حياة البشر مقولته المشهورة "مصر هبة النيل" تأكيداً لتأثير البيئة النيلية في تكيف أوضاع مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ويشير إلى أن مناخ اليونان المميز أفرز نوعاً مميزاً من البشر؛ أما بركليس فقد ذهب أبعد من ذلك، فهو يرى أن للمناخ آثار على الإنسان والحيوان والنبات، وكذلك على البناء الجسمي للإنسان ولسانه، وحالته الاقتصادية والاجتماعية والحرفية، وعاداته وتقاليده وقسم الأرض إلى ثلاثة أقاليم:

1- الإقليم الشمالي (وسط أوروبا): يتميز مناخياً بأنه بارد رطب وهذه الخصائص المناخية أدت إلى نمو حشائش قصيرة (الاستبس) تنمو عليها أعداد قليلة من الحيوانات الصغيرة الحجم. أما سكانه فضخام الأجسام صحب {حر} الشعور وتفكيرهم جامد متاخر كونهم يعيشون حياة رعوية رتيبة.

2- الإقليم الأوسط: الذي يربط بين مناخه المعتدل والسكان فاعتبر اعتدال المناخ سبباً في طول قامتهم وذكائهم وتفوقهم العلمي وينطبق ذلك على اليونانيين من أبناء جلدته.

3- الإقليم الجنوبي {السودان} ويضم ليبيا ومصر: مناخه شديد الحرارة جاف وأرضه مستوية خصبة متنوع النباتات والحيوانات. أما سكانه المتميزون بنحالة الجسم وأسوداد البشرة والشعر فنعتهم بالكسيل والخمول<sup>20</sup>.

وقد أطلع علماء الجغرافيا العرب أيام الحضارة العربية الإسلامية، على الأفكار اليونانية حول تأثير البيئة الطبيعية على حياة الإنسان، وأفادوا منها، وخاصة أفكار بطليموس الواردة في كتاب الجغرافيا، كما أطلع العلماء وال فلاسفة والجغرافيين العرب؛ على كتاب الطبيب اليوناني إبقراط في الأهوية والمياه والبلدان، والذي يبين فيه إبقراط تأثير المناخ على خلق الناس وعلى أنظمة الحكم، ويعتبر كتاب إبقراط من روائع المؤلفات الطبية في مجاله، إذ عالج فيه علاقة المناخ بالإنسان وتناول مسألة المقارنة بين مختلف الشعوب، وإمكانية ملاحظة الفوارق المزاجية والأخلاقية بين الأمم حيث نستطيع فهم العوامل التي يجعل الانجليز يتصرفون بتحفظ، والألمان بصراحة، والفرنسيين بغرور،

<sup>19</sup>- لويس اسكندر. (د.ت). الإنسان والبيئة. مطبعة الإعتقد، مصر، ص.8.

<sup>20</sup>- عطوي عبد الله. الجغرافية البشرية، مرجع سابق، ص15، 16.

والإيطاليين بعصبية، ويسأله إمبراطور: لماذا يطغى الخجل على اليابانيين، والحدر على الكوريين، والسوقية وسرعة الاحتكاك على الأميركي؟

### 2.3. الحتمية البيئية عند ابن خلدون:

لقد لفت التنوع في الأمزجة والأخلاق؛ انتباه العديد من الرحالة والمفكرين وال فلاسفة والمؤرخين على مر العصور، ويعتبر ابن خلدون أحد أبرز المفكرين الذين اهتموا بهذا التنوع والاختلاف؛ فهو من الرواد الأوائل الذين كتبوا حول أثر البيئة على حياة البشر وسلوكياتهم، ونمط معيشتهم وثقافتهم، وهذا ما أوضحه في مقدمته الشهيرة، التي تكلم فيها عن أثر الهواء والمناخ في أخلاق البشر وطبعاتهم؛ حيث ربط ابن خلدون طبائع وألوان البشر بالمناخ، من حيث الحرارة والبرودة، وهو يرى أن الإنسان يتاثر بالبيئة الطبيعية التي يعيش فيها؛ فالإقليم الرابع أعدل العمران، والذي حافظه من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال والذي يليهما، والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال، والأول والسابع أبعد بكثير؛ فلهذا كانت العلوم والصناعات والمباني والملابس والأقواء والفوائد بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال، وسكنها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا حتى النبوات؛ فإنما توجد في الأكثر فهما، ولم نقف على خبر بعثة في الأقاليم الجنوبية ولا الشمالية<sup>21</sup>.

وذلك أن الأنبياء والرسل إنما يختص بهم أكمل النوع في خلقهم وأخلاقهم قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةً أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>22</sup>، وذلك ليتم القبول بما يأتهم به الأنبياء من عند الله، وأهل هذه الأقاليم أكمل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم وأقواءاتهم وصناعتهم. ويبعدون عن الانحراف في عامة أحوالهم وهؤلاء أهل المغرب والشام والحجاز واليمن والهند والسندي والصين وكذلك الأندلس ومن قرب منها من الفرنجة والجالقة والروم واليونانيين، ومن كان مع هؤلاء أو قريبا منهم في هذه الأقاليم المعبدلة، ولهذا كان العراق والشام أعدل هذه كلها؛ لأنه وسط من جميع الجهات، وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الأول، والثاني والرابع السادس فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم<sup>23</sup>.

إن البيئة الطبيعية تؤثر في الإنسان من الوجهة الجسمانية، ويضطر الإنسان إزاء هذا الوضع ومن دون شك إلى أن يبيئ نفسه للوسط الذي يعيش فيه، فإذا لم يفلح في محاولته أو قضت عليه الظروف بتغيير وسطه تغيرا فجائيا؛ فإنه لا محالة منقرض. فالهنود الذين يعيشون فوق مراتع الانديز على ارتفاع 10آلاف إلى 15 ألف قدم من سطح البحر؛ يتمتعون بريتين قويتين وصدور عريضة،

<sup>21</sup>- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص.82.

<sup>22</sup>- سورة آل عمران، الآية 110.

<sup>23</sup>- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص.82.

وذلك لتخلخل الهواء على هذا الارتفاع؛ مما أدى بمرور الزمن إلى تقوية ناحية خاصة من الجسم أصبحت متوارثة، فإذا انحدر هؤلاء إلى السهول تعرضوا للهلاك.<sup>24</sup>

والبيئة من منظور ابن خلدون تحكم في النواحي الفيزيولوجية للإنسان، فاللون مثلاً تابع لمزاج الهواء كما يقول ابن خلدون. بخلاف ما يقوله بعض علماء الأنثروبولوجيا من أن اسم السودان إنما أطلق على أهل الإقليم الأول بسبب رجل أدمي أسود، كما يوجه ابن خلدون نقداً حاداً لأصحاب التوراة من اليهود عندما نسبوا لون السود إلى أهل هذا الإقليم، من أنهم ينتسبون إلى (حام) أحد أولاد النبي نوح عليه السلام، بسبب دعوة أبيه عليه، ناسباً القول في توراتهم إلى الخرافية والأساطير من حكايات القصاص، مؤكداً إغفالهم لتأثير الحرارة والبرودة.<sup>25</sup>

فالشمس تؤثر في لون البشرة فتردد السمرة: كلما طال تعرض الإنسان للأشعة، ولذا نجد سكان الغابات الاستوائية الكثيفة أقل سواداً من سكان السفانا؛ لقلة تعرضهم لأشعة الشمس نسبياً كما نجد سكان الشواطئ في الجهات المدارية؛ أكثر سمرة من سكان الجهات الداخلية من نفس الإقليم لطول تعرضهم للشمس في أسفارهم وتنقلاتهم البحريّة. ومن الملاحظ أيضاً أن سكان البوادي أقوىاء النظر لاتساع أرجاء بلادهم وكثرة مراهم على النظر إلى الأفق البعيد.<sup>26</sup>

ويظهر لنا بوضوح بأن ابن خلدون؛ يأخذ بالتفسير المتمشي مع المعطيات والنظريات السائدة في عصره. مؤكداً بأن تأثير البيئات المعتدلة والمترفرفة على سكانها لا يقتصر على الصفات العضوية، فقط وإنما يمتد كذلك إلى كثير من الصفات المزاجية والثقافية، فأهالي الأقاليم المعتدلة هم "أعدل أجساماً وألواناً وأخلاقاً وادياناً" أما أهالي الأقاليم المتطرفة فـ"يبدون عن الإنسانية بمقدار بعدهم عن الاعتدال البيئي". وما يؤكّد إثر البيئة على سكانها في رأي ابن خلدون أن السود من أهل الجنوب لو أستوطن بعضهم في المناطق المعتدلة فإن الأجيال التالية من ذريتهم لا بد أن تطرأ عليهم تغيرات تناسب مع البيئة الجديدة"، فالسمات الفيزيقية يمكن أن تتغير جيلاً بعد جيل، كما أن السمات الثقافية يمكن أن تتغير كذلك بالاحتلال الثقافي بين سكان المناطق المختلفة.

وهكذا نجد بأن البيئة الطبيعية، وكما أنها تؤثر في النواحي الفيزيولوجية للإنسان؛ فإنها تؤثر أيضاً في النواحي الأخلاقية أو الخلقية، فسكان الإقليم الرابع ونظراً لتميزه بالاعتدال؛ فإنهم يتميزون بالاعتدال في خلقهم وخلقهم فالأول والثاني للحر والسود والسابع للبرد والبياض، ويسمى سكان الجنوب من الإقليمين الأول والثاني باسم الجبشا والزنج والسودان، وهي أسماء متراوحة على الأمم المتغيرة بالسوداد.

<sup>24</sup>- لويس اسكندر. الإنسان والبيئة، مرجع سابق، ص. 8، 9.

<sup>25</sup>- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 83.

<sup>26</sup>- لويس اسكندر. المرجع سابق، ص. 10.

وتتأثر أخلاق البشر في رأي ابن خلدون بالهواء؛ فخلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرف؛ لأن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيها؛ وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتکاثفه، وتقرر أن الحرارة مفسحه للهواء والبخار مخللة له زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشي من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه، وذلك بما يدخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتشي الروح وتتجلى طبيعة الفرح<sup>27</sup>.

وتلعب البيئة في نظر ابن خلدون دوراً مهماً في تغيير الحياة البشرية، وتطورها، وذلك بفضل اعتدال المناخ، وما تتوافر عليه من ثروات، فالإقليم المعتمد المناخ من شأنها أن تجلب الناس إليها فيؤدي ذلك إلى التجمع الكبير الواسع الذي ينبع عنه تقدم وتطور حضاري، وتأكد لنا العودة إلى التاريخ بأن أعظم الحضارات التي أنشأها الإنسان؛ قامت في المناطق المعتمدة المناخ والمتوفرة على الموارد الطبيعية مثل المياه والغذاء والكلأ والأراضي الخصبة، فشكلت بذلك نقطة جذب للسكان الذين امتهنوا مع بعضهم البعض وشكلوا حضارة متقدمة ومتطرفة<sup>28</sup>.

إذا قمنا بتحليل أفكار ابن خلدون في محور الجغرافية وعلاقتها بالعمارة، نجد أن مقدمة ابن خلدون تحتوي على أفكار ودراسات أصلية؛ تعتبر الكتابة عنها حالياً من القضايا والركائز الأساسية في تشكيل هيكل أدبيات جغرافية العمارة البشري عند ابن خلدون، فنشأة المدينة ودراسة موضوعها وموقعها، ومراحل نموها وعلاقتها الإقليمية، وأساسها الاقتصادي وتصنيفها الوظيفي هي ظاهرات عالجها ابن خلدون في مقدمته، وأنها في ذات الوقت تشكل المحاور الأساسية لجغرافية العمارة؛ التي كثيراً ما يشار إليها في الكتابات الجغرافية المعاصرة على أنها وليدة العصر الحديث<sup>29</sup>.

#### 4. وجهة نظر ابن خلدون حول البيئة وأثرها على حياة الإنسان في ميزان النقد

##### 1.4 مؤاذنات على وجهة نظر ابن خلدون حول أثر البيئة على حياة الإنسان:

من بين المؤاذنات والاعتراضات؛ التي وجّهت لوجهة نظر ابن خلدون حول أثر البيئة على حياة الإنسان؛ هو اتسامها بعدم المنطقية؛ صحيح أن البيئة تعد أحدى العوامل الهامة التي تؤثر على الإنسان؛ لكنها ليست العامل الوحيد أو المنفرد فهناك العديد منها، وليس من المنطق أن نقر باحتمالية أي عامل من العوامل التي يخضع لها الإنسان في حياته سواء كانت عوامل اجتماعية أو تاريخية، أو حتى بيئية بمفهومها الأعم والأشمل.

<sup>27</sup>- ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص 84، 85.

<sup>28</sup>- حسين طه. (1925). فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ط 1، ترجمة محمد عبد الله عبان. مطبعة الإعتماد. مصر، ص 70، 71.

<sup>29</sup>- محمد رضا محمد مسعود. (2021). الحقيقة الجغرافية التاريخية عند ابن خلدون العامل الجغرافي البحث. دورية الإنسانيات- كلية الآداب - جامعة دمنهور. ص 144.

ومن بين الاعتراضات أيضاً أن التطور التكنولوجي؛ يلعب دوراً بارزاً في الحد من العوائق البيئية فمثلاً بعض البلدان؛ التي يفرض موقعها عليها العزلة، أمكّنها وبفضل التقدم التكنولوجي الهائل الذي وصلت إليه أن تصبح غير معزولة، وهذا بتقدّم وسائل المواصلات والاتصال؛ فقد أصبح العالم اليوم أشبه بقرية كونية صغيرة، يتواصل البشر فيها فيما بينهم بسرعة البرق وعبر وسائل الاتصالات المتعددة من حواسيب وفضائيات، ووسائل اتصال أخرى؛ التي يطلق عليها ثورة المعلومات، التي ينفتح فيها كل شيء أمام الإنسان، وتخترق الأفاق بلمع البصر، وكيف ما تريده من طبيعة المناخ؛ سواء أكان حاراً أم بارداً أم معتدلاً، على وفق أجهزة حديثة تعمل على ذلك. حتى ليشعر الإنسان في أي أرض هو وفي أي مناخ كانه في مناخ معتدل طوال السنة، حتى أن بعض الدول باتت تطلب أن يعمل لها مساحات من الليل بعد أن ملت وضجّرت من طبيعة أرضها الصحراوية الحارة والجافة صيفاً، والباردة شتاء مما يعني أن الإنسان أصبح ينتج أفكاره وقيمته؛ على وفق ما يكفيه المناخ الصناعي لا الطبيعي الذي توفره الأجهزة المعدة لذلك.

ثم إن للتاريخ والحضارة أهمية بالغة في الحد من سيطرة البيئة على الإنسان؛ حيث توجد بعض الدول التي تتشابه في ظروفها البيئية، ولكن تاريخها وحضارتها لمما دور أساسياً يختلف تماماً عن الدول المتشابهة معها في ظروفها البيئية<sup>30</sup>، ويشهد التاريخ على أن الأمة الواحدة كثيراً ما تنتقل من حال إلى حال خلال الأدوار والأطوار التي تتولى عليها، فقد تكتسب بعض السجايا الجديدة، حتى حينما لا يتغير شيء من بيئتها الطبيعية، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن هناك عوامل أخرى غير البيئة الطبيعية تؤثر بدورها في حياته.

وبغض النظر عن الاختلاف الحاصل حول أثر البيئة على حياة الإنسان، فإن هذا الأخير هو وليد الأرض، حضنته أمه وغذته ووجهت أفكاره في اتجاه خاص، وداعبته بصعاب زادت في قوته وشحذت من عقله وطرحت أمامه معضلات الملاحة والزراعة، ثم همست في أذنه طريقة التغلب عليها التي اختلطت بعظامه وأنسجته وامتلاً بها عقله وروحه، فعلى المرتفعات زودت أرجله بعصابات حديدية يتسلق بها شاهق الجبال، وعلى شواطئ البحار نفخت في صدره وذراعيه كي يسيطر على قاربه ومجذافه. وفي وديان الأنهر قيدته بالتربة الخصبة وأحاطت أفكاره وأطماعه بسياج من الأعمال الهدأة الدقيقة وحصرت وجهة نظره في مزرعته الخاصة.

أما في المماليق الشاسعة والصحاري القاحلة- حيث يتجلو بقطعانه من مرعى إلى مرعى ومن واحة إلى أخرى، حيث لا يعرف طعماً للراحة، ولا يصغي إلا لنداء الحرية، حيث أعطته الطبيعة فراغاً طويلاً

<sup>30</sup>- محمد رضا محمد مسعود. الخيمة المغراوية التاريخية عند ابن خلدون العامل المغرافي البحث، مرجع سابق، ص 143، 144.

يترك فيه نفسه للتأمل. فقد اصطبغت أفكاره بالبساطة المتناهية وأصبحت ديانته التوحيد بالله الفرد الذي لا شريك له.<sup>31</sup>

#### 2.4 إيجابيات نظرة ابن خلدون حول أثر البيئة على حياة الإنسان

إن للبيئة ولا شك آثارها الاجتماعية والاقتصادية، فظروفها تحكم في التقدم الاقتصادي والاجتماعي للإنسان، فالملاحظ أن المشتغلين بالصيد أو الجمع؛ قلما يقيمون طويلاً في بقعة واحدة وبذلك لا يمكنهم أن يعرفوا معنى للوطن كما أن الرابطة بين أفراد أسرهم تكون واهية؛ لأن كل فرد يسعى إلى الحصول على رزقه دون التفكير في الآخرين، وبذلك لا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من أنفسهم قبائل قوية مستقرة. أما سكان الشواطئ الذين يعيشون على صيد الأسماك فإنهم يجدون من وفرة الرزق ما يغنينهم عن التجول الدائم، وبذلك يعيشون في أسر قوية تكون في مجموعة قبائل تعيش في قرى ذات منازل ثابتة مستقرة. كذلك يكون رعاة الخيل في سهوب آسيا والإبل في الصحراء الكبرى وصحراء العرب قبائل قوية لها رؤساء يتمتعون بسلطة تشريعية وتنفيذية واسعة. كما أن أفراد الأسرة الواحدة بينهم يشعرون بقوة العصبية ويتداولون المحبة والاعطف. أما البيئة الزراعية كثيرة الخيرات فإنهما تسمح بكثرة عدد السكان، وتستلزم ارتباط الأسرة وتحتم قيام حكومة منتظمة تسهر على مصالح الناس، وتقوم بالمشروعات التي ترمي إلى تحسين الري والزراعة<sup>32</sup>.

وإذا كان ابن خلدون قد قال بالحتمية الجغرافية، التي تعني تحكم البيئة الطبيعية في الإنسان وسيطرتها عليه، فهي تؤثر في خلقته وشكله ونمط حياته وسلوكه، وأفعاله وكافة الأنشطة التي يمارسها أو يمتهنها على سطح الأرض، فإنه ولاشك قد تأثر بأفكار سابقيه من تكلموا في الموضوع، ولكنه أضاف الكثير مستفيداً في ذلك من رحلاته وأسفاره العديدة، وكما تأثر ابن خلدون بأفكار سابقيه فإنه قد أثر أيضاً في أفكار اللاحقين عليه بشكل أو باخر، ولا شك أن لابن خلدون الفضل في ظهور الكثير من الأفكار عند كثير من المفكرين البارزين المحدثين من أمثال مونتسكيو في النصف الثاني من القرن السابع عشر في مؤلفه "روح القوانين"، حيث رأى أن المناخ الحار هو سبب الجمود في الدين والعادات والتقاليد والقوانين في الأقطار الشرقية. كما حمل الأفكار الحتمية مفكرون من كافة التخصصات كعالم الأحياء السويسري أرنست هيكل؛ الذي أرسى قواعد علم جديد باسم الإيكولوجيا، وسميت بـ"الإيكولوجيا العميقه"؛ لأنها تبحث بعمق في العلاقة بين الإنسان والبيئة، أو علم التنبؤ أي التكيف مع البيئة.

الخاتمة:

<sup>31</sup> إسكندر لويس. الإنسان والبيئة، مرجع سابق، ص.8.

<sup>32</sup> المرجع نفسه، ص 12، 13.

والذي يمكننا استنتاجه والتأكيد عليه في الختام؛ هو أن للبيئة الطبيعية؛ بالغ الأثر على حياة الإنسان الفيزيولوجية والاجتماعية، والاقتصادية، وهذا ما أصاب فيه ابن خلدون؛ أما أن تصبح حتمية تفرض نفسها على الإنسان فتجعل حياته نمطية تطبعها الرتابة؛ فهذا أمر لا يؤيده الواقع والتاريخ، ذلك أن علاقة الإنسان بالطبيعة لم تكن علاقة المنفعت المتأثر فقط، وإنما هي علاقة الفاعل المؤثر أيضا.

فالإنسان ينفعل ويتأثر بالطبيعة من جهة، ولكنه من جهة أخرى يحاول التخلص من سيطرة الطبيعة بصور شتى، وقد توصل إلى التخفيف من تأثيراتها فيه إلى حد كبير بفضل التطور العلمي والتكنولوجي الهائل؛ الذي سمح له باستحداث بيئات جديدة توفر على نفس شروط البيئات الطبيعية الأصلية التي تميز بالبرودة أو الحرارة، فاستطاع أن يفرض نفسه، ويقتسم عوالم وبيئات جديدة، ويكتسب عادات وتقاليد جديدة، ويواجه الطبيعة بالآلات، والماكينات، والبيوت، والمدن والطرق، والمرافق، وغيرها، فيبني بالعلم والتكنولوجيا حضارة جديدة؛ لا تعترف بتبعاً الأقاليم التي تكلم عنها الجغرافيون والفلسفه والمفكرون، ومنهم ابن خلدون، ولذلك فإن الحديث عن تأثير البيئة الطبيعية على حياة الإنسان اليوم؛ لا يخرج عن نطاق الأحوال الاجتماعية، والدّوافع التاريخية والإيديولوجيا التي تعمل على التفارق بين البشر.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن خلدون عبد الرحمن. (1981). مقدمة ابن خلدون، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان.
- 2- اسكندر لويس. (د.ت). الإنسان والبيئة. مطبعة الاعتماد، مصر.
- 3- حسين طه. (1925). فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ط1، ترجمة محمد عبد الله عنان. مطبعة الاعتماد. مصر.
- 4- الحوفي عبد المنعم، (2010) موسوعة الفلسفة والفلسفه، ط3، ج 1، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- 5- زيادة نقولا، (1987)، الجغرافية والرحلات عند العرب. دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، لبنان.
- 6- صليبا جمیل (1982)، المعجم الفلسفی، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان.
- 7- عطوي عبد الله. (1996). الجغرافية البشرية، ط1. دار النهضة العربية، بيروت.
- 8- الفيريوز آبادي مجد الدين، (2005)، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- 9- محمد رضا محمد محمد مسعود. (2021). الحتمية الجغرافية التاريخية عند ابن خلدون العامل الجغرافي البحث. دورية الإنسانيات- كلية الآداب- جامعة دمنهور.
- 10- قاموس الكل. قاموس عربي عربي، على الموقع: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/>